ليلة سقوط وادي الدوم

بعد أن ضللت الطريق الوصول إلي البئر، وسط عاصفة رملية هوجاء، عثرت علي ناقلة بي أم بي معطوبة، التجأت إليها واختبأت فيها، حتى لا ينكشف أمري، أمام جنود العدو المنشغلين بجمع الغنائم، ثمة بندقية كلاشنكوف بداخل الناقلة، وبضعة مخازن ذخيرة وبرميل مياه عذبة، أسكنت ظمأي منه..

اقترب أحد جنود العدو من الناقلة، عندما فتح الباب فوجئ بي ارتد مذعورا اسرع للخلف وأخبر مجموعته، الذين اقبلوا بعد قليل شاهدته من خلال فتحة في جسم الناقلة، يلتقط قاذف آر بي جي، ويتقدمهم نحوي لنسف الناقلة أسرعت على الفور بالخروج من الناقلة ورفع الراية البيضاء، قبضوا علي، فتشوني بدقة، ووثقوا يدي خلفي، ثم فتشوا الناقلة، أخذوا البندقية والذخيرة وبرميل

الماء، ودفعوا بي فسيارة اللاندكروزر في عنف وقسوة وأقلعت بي السيارة والجندي التشادي يصيح بي:

- أنت جندي ليبي أليس كذلك؟

أجبته: - لا.. شعبي (أي مدني)..

شقت بنا السيارة، وسط العشرات من المدرعات المعطوبة، وجثث لجنود ليبيين متناثرة، وأنا مقيد اليدين، مشاهد مأساوية كنت أشاهدها وأنا في السيارة.. مشاهد مؤلمة تجعلني أتجرع مرارة الهزيمة والخذلان..

توقفت بي السيارة أمام خيمة في الخلاء، كان يجلس خارجها اسرى ليبيين صاح في جندي تشادي بلون الليل:

- امرق هيا..

قفزت من السيارة، حدقت في الوجوه المتعبة، وهي ترتدي بزاتها العسكرية الخضراء، لم أتعرف على أحد منهم، ارتميت على الرمال، مثل بقية الأسرى، أيدي الجنود التشاديين تمتد إلى جيوبنا، تسلب ما فيها من نقود وأوراق، حتى الأحذية والساعات سلبوها منا.

قضينا تلك الليلة الحالكة السواد تحت رحمتهم، كانوا يصوبون بنادقهم نحونا، لم يستطع أحد منا التحرك، من حلول الظلام حتى طلوع الفجر.. عطش وجوع والمعنويات منهارة، خوف ورعب ومصير مجهول،

وفي دهشة التفت اليَّ أحد السجناء قائلا: - الأفندي صالح..

صحت فيه بغضب : - اخرس هذا ليس وقته..

جلست على الرمال مثلهم، شردت بذهني، تذكرت ليلة الأمس المشؤمة، وكيف هاجمتنا القوات التشادية، وفتحت نيرانها علينا في وادي الدوم، وكيف دب الفزع والذعر بين جنودنا، وكيف وقع السائقون بسياراتهم وسط حقول الألغام، وكيف تواصل هروب قواتنا نحو أوجنقا، وكيف توالت سقوط قذائف التشاديين على مقر قيادتنا، وكيف أجبر الأفراد على الانسحاب، كما تصاعد اللهب في الخيام والبيوت المحترقة، وفي مخازن الذخيرة والوقود، وكيف سقط معظم المدافعين من جنودنا قتلى، وكيف قررنا الهرب في اتجاه الصحراء، وكيف اشتعلت النيران في مقرات القيادة والمنامات، عندها استولت القوات التشادية على أطنان التموين، وأعداد هائلة من سيارات 26 طن، ومخازن الذخيرة، والمهمات العسكرية والطائرات الحربية.

وكيف ضاع البعض منا وسط الصحراء، وابتلعه الموت.

وكيف استطعت أن أنفذ بجلدي، وأنقذ نفسي، وأختبئ في تلك الناقلة حتى قبضوا علي.

وبعد ليلة طويلة حالكة السواد، نقلونا العساكر التشاديين الملثمين، في الشاحنات تحت الحراسة المشددة، وسط جو مفعم بالغبار ودخان الحرائق، وطلقات الرصاص وأصوات الانفجارات.

ثم كانت لنا وقفة في قرية بعد المغيب، حيث تجمهر علينا سكانها أطفال ورجال ونساء، وبأيديهم مصابيح يسلطونها على وجوهنا، وهم يقهقهون، والسباب والشتائم تنهال علينا منهم، ومنهم من حاول الاعتداء علينا، لولا الحرس التشاديين..

أركبونا الشاحنات من جديد التي اتجهت بنا صوب فادا، وفي نفس الليلة جاءوا لنا بعشاء في عنبر كبير، ثم نقلونا الي قاعدة فرنسية، حتى نقلتنا طائرة عسكرية الي مطار العاصمة انجمينا، ثم اركبونا حافلة عليها حراسات مشددة كانت في انتظارنا، أقلتنا الي سجن القيادة وسط العاصمة انجامينا لأصبح مجرد رقم في ملفات المسجونين.

تمضي الأيام والأسابيع والأشهر وذات صباح صحوت على طرق عنيف على باب الزنزانة وصوت يصيح بنا :

- هيا اخرجوا.. اخرجوا فقد وقع انقلاب على الرئيس التشادي هبري بزعامة إدريس دبي..